الحراك السياسي لطلبة جامعة الزيتونة في مواجهة الاحتلال الفرنسي

١٨٨١-١٩٥٦

أ.م.د.سعد توفيق عزيز البزاز

جامعة الموصل/ كلية الاداب

تاريخ استلام البحث ٢٠١٩/١/٢٣ تاريخ قبول النشر ٢٠١٩/٤/٩

الملخص

كانت جامعة الزيتونة في تونس منذ عام ١٨٧٣م تشرف على جميع مؤسسات التعليم التقليدية (الكتاتيب-حلقات الدرس في الجوامع) بالبلاد بمستوياتها المختلفة وانتشرت فروعها في أغلب مناطق البلاد اذ تقوم بتأهيل الناجحين منهم للالتحاق بالجامعة الزيتونية بالعاصمة وفروعها بالوسط والجنوب وكانت جامعة تمنح لتلاميذها وطلبتها شهادات تخرجهم في جميع مستويات التعليم ، ومن جامعة الزيتونة كان يتخرج المعلمون والأساتذة والدعاة والقضاة والعلماء .ولقرون طويلة كانت جامعة تتابع مهمة التدريس لكل ما تعلق بالأدب واللغة والتشريع من فقه وأصول وحديث وكل ما اتصل من علوم بفهم الإسلام وأصوله وتطوير الاجتهاد ونشر الدعوة وقد كانت مسيرتها حافلة بما تركه علماؤها قديماً وحديثاً من بصمات في الفقه والأصول والتفسير ،والى جانب دورها العلمي فقد حملت جامعة الزيتونة مسؤوليتها الوطنية في مواجهة الاحتلال الفرنسي والدفاع عن الوطن والشعب ،والمحافظة على هوية البلاد وساهم طلبتها بالقسط الأوفر من العمل على نيل الاستقلال عبر قيادة الجهاد المسلح ضد الاحتلال والمظاهرات وحملات التوعية والعمل السياسي الذي كان من أكبر قادته الشيخ عبد العزيز الثعالبي

مثل الحراك السياسي لطلبة جامعة الزيتونة جزءا هاما من الحركة الشبابية التى تمثل بدورها إحد مكونات الحركة الشعبية، لكن الحراك الطلابي ارتبطت بجملة ظروف تحكمت فى ظهوره وتطوره وفى توجهاته العامة وفق المرحلة التاريخية التى مر بها المجتمع التونسي خلال الحقبة الاستعمارية (١٨٨١-١٩٥٦). فالحركة الطلابية فى بلد مستعمر تختلف عن تلك التى تنشط فى بلد رأسمالي أو بلد إشتراكي . وإذا نظرنا إلى الحراك السياسي للطلاب فى تونس نرى أنه إرتبط عموما بالنضال التحرري الذى يخوضه الشعب العربي التونسي ضد الهيمنة الإستعمارية الفرنسية وضد التخلف الإجتماعي ،وقد مر هذا النضال بمراحل عديدة توافقت مع مستوى التطور المادي ومستوى الوعي الذى ساد صفوف مناضليه.

اتسم الحراك السياسي للطلاب بأنه لم يعرف الهدوء منذ ان قطع الحراك اول خطوة في مسيرته النضالية اذ رافقها تعطش وتحرق للفكر والسياسة فقد اصبحت الساحات الجامعية اطاراً للمناظرات الفكرية والسياسية والتحريض الجماهيري والدعاية للمشاريع المجتمعية الخاصة والتدريب على كفاح الشوارع تنظيماً وقيادةً وتخطيطاً ووجدت في مختلف التيارات السياسية المحظورة موطناً لنشاط القادة والعناصر الحركية.

المقدمة :

مثل الحراك الطلابي القوة الرافضة الواعية المناضلة في سبيل التغيير عبر نبذ التخلف وتحقيق العدالة الاجتماعية والخروج من دائرة التسلط والهيمنة الاستعمارية منذ الاحتلال الفرنسي لتونس عام ١٨٨١ ، فهي التي لا تهادن الواقع بل تهدف إلى إحداث تغيير نوعي فيه .

لعب الحراك الطلابي في تونس عبر مسيرته النضالية هذا الدور وجسده ،مما جعله حراكاً رافضاً لواقع التخلف، ولم تقف خصوصيات الواقع الطلابي جداراً يفصل بينه وبين الشعب وقضاياه بل جعلته أكثر حساسية ويقظة فالتحم بذلك في مسيرة النضال، وعمق التحامه به كان ذلك في فترة التحرر الوطني ومع دولة التحديث ولا زال مستمرا إلى الاستقلال برغم صعوبة الظرف وكثرة القمع المسلط على الجامعة من قبل المحتل الفرنسي.

تعد جامعة الزيتونة أقدم وأعرق جامعة تأسست بالعالم الإسلامي حيث يعود بناؤها إلى فترة الفتح الإسلامي لشمال إفريقيا واليها كان يشد الرحال لطلب العلم من مشرق العالم الإسلامي إلى مغربه .ولقرون طويلة كانت جامعة تتابع مهمة التدريس لكل ما تعلق بالأدب واللغة والتشريع من فقه وأصول وحديث وكل ما اتصل من علوم بفهم الإسلام وأصوله وتطوير الاجتهاد ونشر الدعوة وقد كانت مسيرتها حافلة بما تركه علماؤها قديماً وحديثاً من بصمات في الفقه والأصول والتفسير فمنها تخرج العلامة ابن خلدون والإمام ابن عرفة وغيرهم من كبار العلماء وحديثا أدركنا نخبة من علماء الزيتونة يعدون من كبار علماء العصر في المجال الشرعي مثل الشيخ محمد الطاهر بن عاشور الذي قام بتطوير علم أصول الفقه والشيخ الخذر الذي تولى إمامة جامع الأزهر والشيخ عبد العزيز جعيط والشيخ محمد صالح النفير والكثير من العلماء المشهود بفضلهم وكفاءتهم . والى جانب دورها العلمي فقد حملت جامعة الزيتونة مسؤوليتها الوطنية في مواجهة الاحتلال الفرنسي والدفاع عن الوطن والشعب ،والمحافظة على هوية البلاد وساهم علماؤها وطلبتها بالقسط الأوفر من العمل على نيل الاستقلال عبر قيادة الجهاد المسلح ضد الاحتلال والمظاهرات وحملات التوعية والعمل السياسي الذي كان من أكبر قادته الشيخ عبد العزيز الثعالبي وقد عملت جامعة الزيتونة على المحافظة على استقلالها في فتاويها ومناهج تدريسها عن سلطة الحكام عبر إيجاده آلية للتمويل الذاتي تجعلها بعيدة عن الارتهان لأي جهة قد ترى لنفسها الفضل عليها فاعتمد ما يسمى بنظام الأحباس وهو حبس عقارات وأموال ومؤسسات لحساب الجامعة إلى جانب ما يتبرع به الخيرون من أبناء الشعب التونسي.

التمهيد:

ينسب جامعة الزيتونة أمر تشييده عام ١١٦ هـ إلى عبيد الله بن الحبحاب وإلى هشام بن عبد الملك ، كما ينسب إلى حسّان بن النعمان فاتح تونس وقرطاجنة فيكون أمر بنائه لأول مرة عام ٧٩ هـ ، وهذا هو الأرجح حسب أغلب المؤرخين لأنه لا يحتمل أن تكون مدينة تونس قد بقيت بدون جامعة بين فتحها وبين سنة ١١٦هـ وبناءً على هذا فإن عبيد الله بن الحبحاب يكون قد أتم فقط عمارة الجامع وزاد في ضخامته.

لقد اختلفت الروايات حول تحديد من قام ببناء هذه الجامعة الذي بات ذكر تونس مقترنا به ، ومكّن القارة الافريقية من سبق تأسيس أول جامعة علمية اسلامية. فحسن حسني عبد الوهاب في كتابه "خلاصة تاريخ تونس" يرى أن باني الجامع هو عبيد الله ابن الحبحاب عام ١١٤ هـ أو ١١٦ هـ [١].

أما المؤرخ التونسي أحمد بن أبي الضياف في كتابه "اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان" فإنه يرى أن بانيه هو حسّان بن النعمان سنة ٨٤ هـ. وقد أصاب ابن أبي دينار في كتابه (المؤنس في تاريخ إفريقية وتونس) حين عزا تأسيس الجامعة إلى حسان بن النعمان والزيادة في صخامة بناءه إلى عبيد الله بن الحبحاب. وهناك من يرى أن حسّان بن النعمان قد بنى مسجداً صغيرا بالقرب من جامعة الزيتونة ومن ثمّ فإنّ فكرة تأسيس الجامعة يمكن أنّها كانت لحسّان لكن البناء لم يبدأ إلا في عهد عبيد الله[٢].

واختلف المؤرخون أيضا في تحديد سنة بناء الجامعة ، فمنهم من قال ان بناءها كان عام ١١٤هـ إلا أن البعض وبالرّجوع الى تاريخ دخول ابن الحبحاب الى افريقية واليا عليها عام ١١٦هـ رجّح أن يكون تاريخ بناء جامعة الزيتونة هو عام ١١٦ هـ وقد رجح ابن أبي الضياف في كتابه "الاتحاف" هذا الرأي الذي تؤكده جلّ المؤلفات المشرقية منها كتاب "الكامل" لابن الاثير. لكن الثابت والأكيد أن أمراء الدولة الاغلبية في القرن الثالث الهجري قد قاموا بتوسيعه وتحسين هندسته وزخرفته ومرافقه[٣].

ومثلما اختلف المؤرخون حول باني المسجد الجامع ، فقد اختلف الرواة حول اصل تسميته ، فمنهم من ذكر أن الفاتحين وجدوا في مكان الجامعة شجرة زيتون منفردة فاستأنسوا بها وقالوا : أنها لتؤنس هذه الخضراء وأطلقوا على الجامعة التي بنوها هناك اسم جامعة الزيتونة[٤].

المسيرة التأريخية لجامعة الزيتونة:

كان التعليم محدوداً جداً ومقتصراً على المدن القريبة من البحر وبعض كبريات المدن من الداخل كالكاف وقفصة وهو تعليم ابتدائي في الكتاتيب اما التعليم الثانوي والعالي فكان من مشمولات جامعة الزيتونة بالعاصمة وبعض فروعها في داخل البلاد كصفاقس وتوزر وكانت الاغلبية الساحقة من الطلاب تتوقف عند التعليم الابتدائي وتوجد اقلية فقط تواصل تعلمها في جامعة الزيتونة وتتخرج مدرسين وقضاة وتتاح لبعضهم فرص الاتصال بالخارج وخاصةً اوربا عن طريق التحاقهم بمؤسسات الدولة او عن طريق الاسفار او الحج او التجارة .وكان التعليم يتم عن طريق الحفظ وينحصر في تدريس القرأن والفقه والنحو والصرف وقليل من علم الحساب اما الادب فلا يدرس منه الا القصائد في مدح النبي محمد صلى الله عليه وسلم وكان رواج الكتب محدوداً لان المطابع لم تكن قد دخلت[٥].

ازدهرت الحركة الفكرية والعلمية في تونس بعد قيام الدولة الحفصية (١٢٢٩-١٥٧٤م)على اثر استحداث العديد من المدارس واقرت منحاً كافية للمدرسين والطلبة تشجيعاً لهم على طلب العلم ووفرت كتباً للمطالعة بالمكتبة العبدلية التي اجتمع فيها الاف المجلدات والمخطوطات .ولما دخلت تونس تحت السيادة العثمانية عام ١٥٧٤ ذوت شجرة العلم والمعرفة بعدما عرفته من نمو وازدهار وعطل التدريس بجامعة الزيتونة بعدما كان منتظماً متواصلاً منذ بداية القرن الثالث الهجري، وانزوى اهل العلم في ديارهم حتى ظهر حسين بن علي تركي

عام ١٧٠٥ فاهتم بالعلم والعلماء واعاد التدريس بجامع الزيتونة اعطى المدرسين من منحاً مالية وانشأ العديد من المدارس في انحاء تونس .ولما تولى احمد باشا الحكم اقر قانوناً جديداً للتدريس عام ١٨٤٦ وتلى القانون لذلك خلال حفل بهيج اقيم لهذه المناسبة وقد نص هذا القانون على ان ينتخب للتدريس بجامعة الزيتونة خمسة عشر عالماً من المالكية ومثلهم من الحنفية على ان يقرئ المدرس في كل يوم ما عدا يومي الخميس والجمعة درسين من أي فن اراد وفي أي وقت تيسر له . ولخير الدين باشا التونسي[٦] ،دوراً الكبيراً بالاهتمام بجامعة الزيتونة فعندما تولى مهامه الوزارية عام ١٨٧٣ اهتم ضمن ما اهتم به بحالة التدريس بجامعة الزيتونة والف لجنة من ابرز علماء العصر تولى رئاستها بنفسه واناط بعهدتها اعداد مشروع قانون لاصلاح التعليم الزيتوني [٧].

كان هذا القانون قد فصل العلوم التي تقرأ بالجامعة والكتب التي تدرس واموال المشايخ والمدرسين والطلاب والمشايخ النظار ثم اتبع ذلك ترتيب نظارة العلوم بالجامعة ،وكانت الجامعة تقوم بتدريس العلوم الدينية ووسائلها وهي القرأن والتفسير والحديث روايةً ودرايةً والعقائد واصول الفقه حنفيةً ومالكية وشافعية والمنطق والمعاني والنحو والصرف والاشتقاق والعروض والادب والتاريخ والحساب والهيئة والفلك واللغة وانشأ خير الدين باشا مكتبة تضم في خزائنها الكتب المعروفة في اللسان العربي وكتباً باللغة التركية والفارسية والفرنسية ،وكانت جامعة الزيتونة تضم المشايخ والموظفون لهم مرتبات تبلغ مئة وخمسون ريالاً شهرياً عددهم ثلاثون مدرساً والفئة الثانية مرتبها تسعون ريالاً وعددها اثنا عشر مدرساً والذين لامرتب لهم وانما لهم اعانات سنوية مما يحصل من تخلف المدرسين والخصم من مرتباتهم عددهم نحو ستين هم يزيدون وينقصون وعدد الطلاب بالجامعة المذكور نحو الثمانمائة طالب يزيدون او ينقصون ،اما الدرس فكان يتم عن طريق الالقاء والسؤال والجواب ولايطول الدرس اكثر من ساعة [٨] .

(كما اولى خير الدين باشا عنايته ايضاً بتنظيم التعليم في جامع الزيتونة فقد وضع لجنة لاصلاح المناهج وتنظيمها وضبطها وبذلك استمرت الزيتونة في اعداد الاجيال وا صبحت من اهم المراكز الثقافية والعامل المهم الذي ساعد على نضوج الحركة الوطنية فيما بعد) [٩].

لقد اصبحت تونس مستعمرة فرنسية عام ١٨٨١ وذلك فى إطار تقاسم النفوذ بين الدول الإستعمارية الكبرى التى تقاسمت دول الوطن العربي . وكانت الأوضاع التعليمية متسمة بالتخلف والتشتت وكانت المؤسسة التعليمية الدينية هي السائدة (الكتاتيب ، فروع الجامع الأعظم ،وجامعة الزيتونة وقد سجلت هذه المؤسسات تدهورا مستمرا فى مواكبتها لتطور حاجة أبناء الشعب للتعلم وحافظت هذه المؤسسات على مستوى متخلف شكلاً ومضموناً وإقتصر دورها على خدمة أهداف شرائح الفئة الإقطاعية. كان دور المدارس التى أنشأها خير الدين باشا قبيل الحماية محدوداً و نخبوياً: (مكتب باردو الحربي ، الصادقية) ، وسعت السلطة الإستعمارية إلى إهمال المؤسسات التعليمية لتزداد تدهوراً وقامت ببعث مؤسسات تعليمية عصرية جعلتها حكراً على أبناء المستعمرين وبعض أبناء المتعاونين معها وهكذا كان عشرات الآلاف من أبناء الشعب عرضة للجهل والامية ، فى حين كان البعض من أبناء الفلاحين المتوسطين وبعض الحرفيين والتجار ممن تمكنوا من دخول جامعة الزيتونة يدرسون مناهج تعليمية قديمة . أما من إلتحق بالمدارس الإستعمارية وهم قلة نادرة مرتبطة بالإستعمار الفرنسي فإنهم كانوا يعانون الحيف والإضطهاد ويعاملون كتلاميذ من الدرجة الثانية ،بينما من تمكن من اللحاق بفرنسا للدراسة ببعض معاهدها فقد كان يلاقى ما يلاقيه أبناء المستعمرات فى عاصمة الإمبراطورية الإستعمارية الفرنسية من

إضطهاد عنصري هو جزء من سياسة الهيمنة الإمبريالية على هذه الأرضية ،تشكلت بدايات الوعي الطلابي ومحاولات التنظيم الأولى . لقد كانت المطالب جزئية وإقتصادية فى منطلقها مثل ضمان فرص تعليمية لأبناء الشعب واصلاح التعليم الزيتوني المتخلف والسماح للعرب بمتابعة دراستهم فى مختلف المعاهد العلمية ومساواتهم بالأوروبيين والعناية بالمؤسسات التعليمية وإصلاحها وتوفير ظروف مادية أفضل للدراسة والإقامة وضمان العمل للمتخرجين .

اولاً: بدايات الحراك السياسي ١٩٠٧-١٩١٩

احتل الحراك السياسي للطلاب دوراً طليعياً في النضال الوطني التونسي عبر تفاعله مع القوى الاجتماعية الوطنية فبحكم كونه طليعياً وشاباً ومثقفاً امتاز بالوعي السياسي والاجتماعي و القدرة على المساهمة الفعالة في تشخيص الاوضاع المتردية وتعبئة الجماهير الطلابية ضد المحتل الفرنسي ضمن مؤشرات تنسجم والاهداف النضالية لعموم الحركة الوطنية فتربط الهوية الطلابية بحركة التغييرات التي يشهدها المجتمع ،ومن خلال هذه العلاقة التحم تاريخ الحراك السياسي الطلابي بتاريخ الحركة الوطنية واصبح فرعاً هاماً منها يناضل جنباً الى جنب معها ضد الاستعمار الفرنسي والتخلف وبناء حياة جديدة على اسس علمية تستجيب لحركة المجتمع وظروف المتغيرات اللاحقة(١٠).

ارتبطت التجمعات الطلابية التونسية بحركة المجتمع وواكبت الحركة الوطنية في مسيرتها ومقارعتها للاستعمار فمنذ تأسيس معهد الخلدونية عام ١٨٩٦ الذي اخذ على عاتقه اقامة الاصلاحات الاجتماعية والثقافية في تونس تكونت الجمعية الخلدونية وهي اول حراك سياسي طلابي تونسي حيث اطر نضال الطلبة في المطالبة بتحسين ظروفها المادية واوضاع التعليم في البلاد واذكاء الروح الوطنية فيهم لمقاومة الاستعمار الا ان هذه الجمعية اضمحلت بسبب الفتور الذي مرت به الحركة الوطنية في تلك الحقبة ،ولم تلعب الجمعيات الطلابية اللاحقة دوراً مميزاً نظراً لصغر حجمها بسبب السياسة التعليمية التي فرضها الاستعمار الفرنسي في غلق ابواب التعليم امام ابناء الشعب التونسي(١١).

بدأ الحراك السياسي للطلبة التونسيين مع محاولات الاصلاح التي ظهرت في العالم الاسلامي على يد جمال الدين الافغاني (١٢)،ومحمد عبده (١٣)، وغيرهم، وقد كان حراكاً فكرياً سلمياً ندد بالمشاريع الاستعمارية واشهر رواده محمد السنوسي (١٤)،والبشير صفر (١٥)، الذي يعتبر بحق اباً للنهضة التونسية الحديثة بعد المصلح خير الدين باشا التونسي(١٦).

قام الحراك بنشر افكار الطلبة التونسيين الذي بدأ ينظم صفوفه لاول مرة تحت زعامة علي باش حانبة(١٧)، الذي اسس جريدة التونسي للدفاع عن قناعاتهم وتصوراتهم للعدالة والمساواة التي يسعون الى تحقيقها ،وقد اصدرت الجريدة في ٧/شباط/١٩٠٧ باللغة الفرنسية وبالعربية تحت اشراف الشيخ عبد العزيز الثعالبي(١٨)،عام ١٩٠٩ وكان الحراك يسعى الى :

١.توعية الرأي العام التونسي بخطورة الاستعمار الفرنسي من خلال نشاط الحراك الثقافي والتوعوي ولفت انظار الرأي العام الفرنسي والسلطة الاستعمارية في تونس لمعاناة الشعب العربي التونسي.

٢.كان الحراك سلمياً اصلاحياً يعمل على التعايش بين التونسيين والفرنسيين في ظل نظام الحماية بشرط المساواة في المعاملة.

٣.كانت الحركة تعمل على توعية التونسيين بالانخراط في التعليم خاصة منه الفلاحي والمهني بوصفه يوفر للمتعلمين وسائل الانتاج والعمل بالادارة.

٤.سجل الحراك تطوراً هاماً وبرز على سطح الاحداث كتجمع سياسي[١٩].

ظهر الحراك على واجهة الاحداث السياسية عندما تبنى زعيمها علي باش حنبه اضراب عمال الترامواي في ٨/شباط/١٩١٢ ومقاطعة الاهالي ركوب عرباته احتجاجاً على سلوك الشركة الاستعمارية الامر الذي ادى الى مقاطعة عربات الترامواي هو ان سائقاً ايطالياً دهس صبياً تونسياً في منطقة باب السعدون فمات فوراً ولم ينل السائق اية عقوبة من الشركة. ،فضلاً عن سوء معاملة العمال التونسيين وقلة اجورهم بالمقارنة مع العمال الايطاليين والفرنسيين ،ويعتبر نجاح هذا الاضراب انذاراً لفرنسا على ان الشعب العربي التونسي توصل الى وسيلة فاعلة في مواجهة القرارات الفرنسية التعسفية وبهذا تحول الحراك للطلبة التونسيين الى حركة سياسية تساند لاول مرة العملية لتحقيق المطالب الوطنية[٢٠].

اما برنامج الحراك فكان يتضمن:

١.اصلاح التعليم وتعميمه في الابتدائي وتمكين الناجحين من التعليم الثانوي والنخبة من التعليم العالي.

٢.فتح ابواب الوظائف الادارية في وجه التونسيين.

٣.تحسين اوضاع الفلاحين بوصفهم اكثر الناس بؤساً.

٤.اصلاح نظام القضاء على اساس الفصل بين السلطات الثلاث :التنفيذية –القضائية –التشريعية. لم يعمر الحراك طويلاً فقد تم القضاء عليه وسجن ونفي اعضائه عام ١٩١٢[٢١].

ان السياسة المهادنة الفرنسية ادت الى هدوء نسبي في مناطق الشمال والعاصمة الا ان المقاومة الشعبية ظهرت على شكل انتفاضات متقطعة في الجنوب التونسي وساعد على بروز هذه الانتفاضات وتطورها ،عوامل عديدة منها الدور الذي لعبته نخبة الاصلاح بتأجيج الاوضاع الداخلية ،وظهور الاضطرابات في الجزائر مما ساعد على سحب بعض القوات الفرنسية الى الجزائر بسبب الهدوء النسبي الذي شهدته تونس خاصة العاصمة والشمال التونسي خلال سنوات الحرب العالمية الاولى [٢٢]،الا ان الانتفاضات والحركات المسلحة اشتعلت في الجنوب التونسي عام ١٩١٥ واستمرت اربعة سنوات استطاع الثوار السيطرة على مناطق الذهبيات وجناين وام السويق ورمادة وتطاوين ولم يتمكن الفرنسيون من اخماد هذه الحركات حتى عام ١٩١٩[٢٣].

ثانياً: الحراك الطلابي بين الحربين العالميتين ١٩١٩–١٩٣٨

في تلك الحقبة تم نفي بعض القيادات الطلابية خارج تونس بسبب اوضاع الحرب وخوفاً من حدوث اضطرابات داخل تونس، لذا فإن النشاط الوطني الذي كان يقوده الطلبة في المنفى استؤنف حالما انتهت الحرب فقد وجد اعضاء هذا الحراك صعوبات كبيرة فلم يعد بامكانهم التعويل على مساعدة المانيا والعثمانيين بعد خسارتهم الحرب ، لذا قام زعماء الطلبة التونسيون بتقديم مذكرة الى مؤتمر باريس تمثل: ((التنديد بنظام العنف والاستبداد والسلب الذي تفرضه فرنسا على الشعب التونسي ووقعت المطالبة باسم حق الشعوب في تقرير مصيرها وذلك بتحرير شعوب شمال افريقيا من الهيمنة التي لم تؤسسها ولم تبق عليها الا القوة الوحشية وحدها))،وقد جاء في خاتمة المذكرة ان الشعب التونسي يطالب باستقلاله التام ويهيب بالضمير العالمي ليعترف له بحق تقرير المصير بحرية[٢٤].

بقيت هذه المذكرة حبراً على ورق خاصةً بعد ان اعتبرت فرنسا الطلبة الموجودين في فرنسا عملاء لالمانيا واستنبول واتهمتهم بالعمل مع امبراطوريات الوسط ضد الحلفاء طيلة الحرب ،فضلاً عن ان اهم الشخصيات البارزة كانت قد رحلت خارج فرنسا او توفت عام ١٩٢٠ لذا انتهت هذه المرحلة بالفشل .وقد اخذ الطلبة الشبان في الداخل على عاتقهم اعادة بناء الحركة الوطنية وتنظيمها سيما وانهم لم يتورطو مع امبراطوريات الوسط لابل اتخذو موقفاً حذراً يتمثل في انتظار نهاية الحرب للاستفادة من الظروف السياسية على المستوى العالمي ليعطوا دافعاً جديداً للحركة الوطنية التونسية(٢٥).

خاض طلبة جامعة الزيتونة عدة تحركات ابتدأت منذ عام ١٩٢٠ يعتبر عام ١٩٢٠ اول ظهور للتنظيمات الطلابية السياسية متجسدة في ((منظمة صوت الطالب الزيتوني)).،بعد خسارة الامبراطورية العثمانية الحرب فلم يخفي الطلبة الزيتونيون تعاطفهم معها لذا خرجوا في مظاهرات احتجاجية على احتلال عاصمة الخلافة استانبول من قبل الجيش الانكليزي في اذار من عام ١٩٢٠ ، وقد بلغت المظاهرات التي نظمها طلبة الجامع الاعظم اوجها محتجين على عملية الاحتلال كما طالبوا الادارة الاستعمارية الفرنسية بمعارضة انكلترا وعبر الطلبة الزيتونيون عن تأييدهم للحزب الحر الدستوري التونسي الذي نشأ عام ١٩٢٠ على يد عبد العزيز الثعالبي ومجموعة من رفاقه ، ومن تلك التحركات ايضاً اضراب كانون الاول عام ١٩٢٨ الذي افضى الى مظاهرة يوم ١٥ من كانون الاول وهي المظاهرة التي جابت ساحة باب السعدون في العاصمة تونس وشارك فيها اكثر من الف طالب وانتهت بتقديم لائحة بالمطالب الطلابية لاعضاء المجلس الكبير (الهيئة التشريعية المنصبة من قبل الادارة الاستعمارية) وقد قامت السلطة الاستعمارية بقمع تلك الحركة بعد ان قام مدير الامن انذاك بتنصيب اعوانه السريين الموثوق بهم في الجامع الاعظم ،وبعض الاعوان المرتدين للزي السري قرب الجامع وتركيز اعوان متشبهين بالمتسولين امام الابواب الرئيسية لمختلف المساجد ومدارس سكن الطلبة لاكتشاف كبار زعماء الطلبة واحباط مساعيهم(٢٦).

في عام ١٩٢٨ عاد بعض الطلبة القوميين النشطاء من فرنسا اذ اتموا دراستهم فيها ،من بينهم الحبيب بورقيبة (٢٧)، وقد اجتمع هؤلاء حول جريدة "صوت التونسي" التي اصدرها الشاذلي خير الله عام ١٩٢٩ ووجدوا مجالاً واسعاً للعمل عندما صادف انعقاد المؤتمر الافخارستي عام ١٩٣٠ الذي اعتبره التونسيون حملة صليبية جديدة ومقدمة لفرنسة التونسيين وتنصيرهم وقررت سلطات الحماية اقامة الحفلات في تلك السنة بمناسبة مرور خمسين عاماً على احتلال تونس، فشن اطلاب الزيتونيون حملة قوية بأقلامهم ضد الاستعمار والتف الشعب التونسي حولهم وتحمس لهم لاسيما بعد تقديمهم للمحاكمة بسبب مقالاتهم ضد الاستعمار بجريدة "صوت التونسي" فتحرك الشعب دفاعاً عن طلبته ونظم مظاهرات امام المحكمة الفرنسية ،ولما راى المقيم العام هذا التضامن القوي عدل عن المحاكمة(٢٨).

في عام ١٩٣٢ اسس الحبيب بورقيبة جريدة "العمل التونسي" فالتف حوله العناصر الوطنية ومنهم الطلبة والشباب فأخذوا يهاجمون قانون التجنيس الذي اصدرته الحكومة الفرنسية سعياً وراء فرنسة تونس واوضحت العناصر الوطنية بأن هذا القانون يمثل خطراً جسيماً على كيان الشعب التونسي المسلم فلجأت فرنسا الى رجال الدين المسلمين ليؤازروها فأصدر بعضهم فتوى ادعوا فيها ان المتجنس لايعد كافراً ويجوز دفنه في مقابر المسلمين، بالمقابل راى الحبيب بورقيبة والعناصر الوطنية ان هؤلاء الرجال هم خونة يتاجرون بالدين ولايمثلون الاسلام والمسلمين ووجه ندائه الى الشعب التونسي ليدافع عن وطنه ودينه ولما مات عدد من المتجنسين في مختلف انحاء تونس احتل الشعب المقابر للحول دون دفن المتجنسين وكثرت الصدامات الدامية مع القوات

الفرنسية وخاصة في مدينة المنستير اذ استشهد وجرح عدد من الطلبة والوطنيين، لما رأى اعضاء اللجنة التنفيذية للحزب الحر الدستوري نشاط هؤلاء الطلبة ومقدرتهم والتفاف الشعب حولهم عقدوا مؤتمر الحزب في ١٢-١٣/ايار/١٩٣٣ وقرر المؤتمر بالاجماع قبول هيئة جريدة "العمل التونسي" في اللجنة التنفيذية كما قرر المؤتمر تحت تأثير الطلبة الشباب (ان سياسة التفاهم مع فرنسا قد فشلت فشلاً ذريعاً بعد تجربة دامت سنوات طويلة) وان غاية الحزب التي يعمل لتحقيقها هي (تحرير البلاد ومنحها دستوراً يحفظ شخصيتها ويحقق لها سيادتها بين الامم المتمدنة المتحكمة في مصيرها)[٢٩].

بدأت الخلافات داخل الحزب الحر الدستوري تظهر بين الاعضاء القدماء والجدد وظهر عام ١٩٣٤ اتجاه سياسي جديد ليولد الحزب الدستوري الجديد وسميت هيئته الادارية (الديوان السياسي) وكان بورقيبة اميناً عاماً للحزب وبذلك اصبح للحزب فرعان احدهما جديد والاخر قديم الذي كان لايزال يرى في الثعالبي زعيماً له[٣٠].

لقد لعبت جمعيات طلابية نفس النوع من الادوار السياسية مثل جمعية "الشبيبة المدرسية التونسية" التي كانت في بدايتها جمعية "قدماء الصادقية" وكذلك العديد من الجمعيات النشيطة في الوسط الطلابي الزيتوني مثل "الشبان المسلمون" و"جمعية الشبيبة الزيتونية" التي تأسست عام ١٩٣٧، وكانت هذه الشبكة من الجمعيات الطلابية مرتبطة سياسياً مع احد الحزبين الدستوريين ومنخرطة في كل فعاليات النضال الجماهيري ضد السلطة الاستعمارية وانتشرت ظاهرة تكوين الجمعيات الطلابية داخل البلاد في اهم المدن التونسية كذلك تأسست فروع لمنظمة "الشبيبة التونسية" في مدن(حمام الانف-سوسة-القيروان) وفروع "لمنظمة تلاميذ المدرسة الفرنسية-العربية" في مدن (القلعة الكبيرة-بنزرت-باجة) وفروع جمعية "الشبيبة الزيتونية"[٣١]، ولم يتأخر طلبة جامعة الزيتونة عن مشاركة الحركة الوطنية في احداث ٩/نيسان/ ١٩٣٨ المطالبة بالدستور والبرلمان حيث وقع العديد في تلك الاحداث بين قتيل وجريح وقد حكمت المحكمة العسكرية الفرنسية على عشرين من اولئك الطلبة بالسجن كما طردت الادارة الاستعمارية على عشرين اخرين من الجامع الاعظم[٣٢].

ثالثاً: الحراك السياسي للطلبة في سنوات الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩-١٩٤٥

مع بداية بوادر الحرب العالمية الثانية وفي محاولة السلطات الفرنسية اخماد كل رد فعل طلابي قامت السلطات الاستعمارية الفرنسية بغلق "نادي مؤتمر الطلبة الزيتونيين" بعد صدور العدد الاسبوعي الاول من مجلته "الهلال" بصورة غير شرعية يوم ١٣/اذار/ ١٩٣٩ ،كما تمحور الحراك الطلابي في تلك الحقبة حول ما كان يعرف بالقضية المنصفية نسبة الى المنصف باي الذي تم خلعه ونفيه الى الجزائر ثم سجنه في مدينة بو الفرنسية اذ وجه الطلاب الزيتونيون رسالة الى المقيم الفرنسي في الاسبوع الاول من شهر كانون الاول عام ١٩٤٣ يطالبون السماح للمنصف باي الرجوع الى تونس وقد كانت تلك التحركات ذات صبغة سياسية مطلبية تطالب:

أ.وضع برامج جديدة لتحسين وتحديث التعليم الزيتوني

ب.تحسين وضعية المدرسين على اختلاف اصنافهم وادماجهم في سلك موظفي الدولة[٣٣].

وعلى اثر ذلك اعلن اساتذة جامعة الزيتونة الاضراب العام في تشرين الاول من عام ١٩٤٣ واجبروا السلطات الاستعمارية على الاستجابة لمطاليبهم ومنحهم حقوق موظفي الدولة بعد ان ايدهم الشعب تأييداً كاملاً

بالمظاهرات ،وقد شعر طلبة جامعة الزيتونة بالارتباك الذي حدث للاستعمار الفرنسي فتشجعوا على تكوين الجمعيات الطلابية واسسوا عام ١٩٤٤ جمعية "مكتبة التلميذ الزيتوني" وبعد ذلك جمعية "التوادد الزيتوني" اللتا اصبحتا فيما بعد تسمى بأسم "الاخوان الزيتونيين" واسهمت كل منهما في توحيد الطلبة وتنظيم صفوفهم ورفع مستواهم التعليمي والسياسي(٣٤).

كانت موافقة الحكومة على برنامج الاصلاح الزيتوني انتصاراً عظيماً لطلبة الزيتونة اذ اسسوا منظمة جديدة عرفت "منظمة صوت الطالب الزيتوني" وقد شارك في بعث هذا الحراك عدد من طلبة وشباب جامعة الزيتونة في مختلف الاتجاهات السياسية مثل عبد العزيز العكرمي وعبد الكريم قمحة وعبد الكريم قريسة وخميس الوسلاتي واخرون ،وما لبث هذا الحراك ان دخل في صراع مع السلطة الحاكمة بسبب اصرارهم على المطالبة بالاصلاحات وتنظيم الاضرابات وقيادة المظاهرات واصطدامهم المستمر مع السلطات الاستعمارية حيث سقط العديد منهم بين شهيد وجريح ومعتقل ،وقد استطاع هؤلاء الطلبة بفضل كفاحهم المرير ان يجبروا السلطات الاستعمارية على الاستجابة لمطاليبهم واصدرت المراسيم باستحداث شعبة التعليم العصري وشهادة التحصيل العلمي التي تؤهل للتعليم العالي بجامعات دول المشرق العربي ،وفعلاً سافر عدد كبير من حاملي شهادة التحصيل الى دول المشرق العربي وتخرجوا من جامعاته في جميع الاختصاصات ،كما تم انشاء بنايات جديدة كانت معاهد او دور لسكن الطلاب (٣٥).

رابعاً: التنظيمات الطلابية خلال حقبة الخمسينات وحتى الاستقلال

١.لجنة صوت الطالب الزيتوني:

ظهرت لجنة صوت الطالب الزيتوني في ١٩/شباط /١٩٥٠ على اثر اتفاق مجموعة من الطلبة على تكوين منظمة طلابية تدافع عن مصالحهم فانعقد الاجتماع في مقر جمعية "الاتحاد الصفاقسي الزيتوني" وقد ضم حوالي المئة طالب ،وكان من ابرز قيادات لجنة صوت الطالب الزيتوني عبد العزيز العكرمي ومحمد البدوي وعبد الرحمن الهيلة وهي من العناصر المعروفة بتوجهاتها العروبية وقد صاغت تلك القيادات نظاماً داخلياً للجنة الذي تمثل بـ:

١.معادلة شهادة جامعة الزيتونة بشهادة الجامعات الدولية

٢.جعل مواد الامتحان باللغة العربية.

٣.الغاء التكليف الذي اصبح كخطة رابعة من خطط التعليم في الجامعة وذلك بعد فتح مناظرات التدريس .

٤.التوسيع في العلوم الرياضية والطبيعيات ودمجه بالتعليم الزيتوني.

٥.المطالبة بالتخصيص الجزئي في العلوم والرياضيات بعد شهادة الاهلية وذلك بايجاد شعبتين :احدها للعلوم الرياضية والثانية للعلوم العربية.

٦.فتح ابواب الشرق والغرب امام طلبة الجامعة لمتابعة التعليم.

٧.جلب اساتذة اختصاصيين من الخارج للتدريس في الكليات.

٨.تنظيم بعثات من حملة التحصيل ليتابعوا التعليم في الخارج.

٩.المطالبة باعطاء الحق لكل متحصل على الشهادة العالمية ليباشر التعليم في المدارس الثانوية والدولية .

١٠.العمل على اقامة معاهد كبرى ينتقل اليها التعليم .

١١.ايجاد مختبر علمي لدروس الكيمياء
١٢.رصد اعتماد مالي للمطاعم الزيتونية.
١٣.المطالبة بادخال اللغات الاجنبية في برامج التعليم.
١٤.الزيادة في عدد المدرسين على حسب زيادة الطلبة.
١٥.تحديد طلبة القسم على ٣٠ طالب.
١٦.المطالبة بفتح صندوق تقاعد[٣٦].

لقد خاضت اللجنة معركة اكتساب شرعيتها بعد رفض السلطات المسؤولة الاستجابة لمطاليبها فأعلنت اضراباً عاماً في ٩/اذار/١٩٥٠ ولم تقتصر المشاركة فيه على الجامع الاعظم في العاصمة تونس وانما شمل كثيراً من الفروع داخل البلاد في قابس وجمال وبنزرت وصفاقس وسوسة والقيروان وقفصة ومساكن والكاف ،والتقى اعضاء اللجنة بالمسؤولين الحكوميين الذين اعتبروا ان تلك المطالب مشروعة ،ولاستكمال هيكل اللجنة فقد اسس اعضاؤها "البرلمان الزيتوني" في ١٠/نيسان /١٩٥٠ والمتكون من ٥٨ نائباً الذي عقد مؤتمره عام ١٩٥٤ وقد تحددت مهمة البرلمان الزيتوني بافراز اللجنة المركزية والتي تفرع عنها لجان:

لجنة المقابلات: تتولى الاتصال بالدوائر المسؤولة لشرح مطاليبها.
اللجنة الادارية:تتولى ادارة وتنسيق اعمال المنظمة .
اللجنة المالية:تهتم بجمع التبرعات.
اللجنة الصحفية: وظيفتها الاتصال بالصحف.

واجهت السلطات الاستعمارية تلك الحركة بالقوة والعنف واطلاق الرصاص على الطلبة المتظاهرين وشنت حملة اعتقالات واسعة في صفوف الطلبة شملت اعضاء اللجنة ،ومنذ عام ١٩٥٤ تحول الخطاب الطلابي الى خطاب سياسي محض وتحولت لجنة "صوت الطالب الزيتوني" الى فصيل فاعل في العمل الوطني[٣٧].

٢.الاتحاد العام لطلبة تونس:

تعتبر تجربة الاتحاد العام لطلبة تونس اهم تجربة تنظيمية في تاريخ الحركة الطلابية في تونس لانه استطاع ان يحقق الاستمرارية في نشاطه وقد تأسس هذا الاتحاد في ٣٠/نيسان/١٩٥٢ [٣٨]،بدعم من الطلبة الزيتونيون المنضمون الى الحزب الدستوري الجديد بدعم مالي من بعض الاطباء والمدرسون والمحامون استطاع هذا الاتحاد ان يعقد مؤتمره في ١٠/تموز/١٩٥٣ وقد انبثق عن هذا المؤتمر اربعة لجان :لجنة النظام الاساسي للاتحاد ،ولجنة دراسة وضع التعليم ،واللجنة المسؤولة عن وضع برامج عمل الاتحاد، واللجنة السياسية الخاصة بدرس قضية البلاد، وقد انبثق عن هذا المؤتمر مكتب يسير المنظمة الطلابية الجديدة وقد الت رئاسة الاتحاد الى مصطفى عبد السلام ،وقد تحولت جريدة "الطالب التونسي" الى صحيفة الاتحاد الناطقة بالفرنسية وصدرت صحيفة ناطقة بالعربية هي "الوعي الطلابي" ،وقد كسب الاتحاد شرعيته بتأثير من "لجنة صوت الطالب التونسي" التي تمكنت من فرض وجودها بواسطة النضال التي قامت بها والتضحيات التي قدمتها على الرغم من قصر تجربتها ومشاركة بعض الطلبة المنضوين تحت تلك المنظمة وعلى الرغم من مشاركة بعض الطلبة المنضوين تحت تلك المنظمة فان الاتحاد كان موقفه راديكالياً تجاهها وتجاه توحيد المنظمتين فقد جاء على لسان الكاتب العام للاتحاد العام : ((ان الاتحاد موجود ويعمل بانتظام وعلى من يريد الوحدة الالتحاق بصفوفه))

،وعقد المؤتمر الثاني للاتحاد في ١٤-١٥/تموز/١٩٥٤ وانتهى بتكوين هيئة مديرة تتكون من منصور معلى رئيساً وحامد القروي كاتباً عاماً [٣٩].

لقد سعى ذلك المكتب الى التعريف بالاتحاد في الاوساط الطلابية والى توفير الغطاء القانوني في محاولة لفرض الاعتراف به من قبل الادارة الاستعمارية وكان المؤتمر الثالث المنعقد في ٢٦-٢٨/تموز/١٩٥٥ الذي انهى اشغاله بتولي عبد المجيد شاكر رئاسة الاتحاد ومحمد عبد السلام كاتباً عاماً له وقد حضر المؤتمر ثمانية الاف طالب ،كما وانعقد المؤتمر الرابع للاتحاد في ١-٤/تشرين الاول/١٩٥٦ وقد سجل حضور عدد من وزراء الحكومة التونسية بعد الاستقلال ولا يفوتنا ذكر ان الاتحاد قد دخل في صراع مع الحكومة التونسية الجديدة وقد حسم هذا الصراع لصالح الحكومة برئاسة الحبيب بورقيبة [٤٠].

الخاتمة:

يعتبر الحراك السياسي لطلبة جامعة الزيتونة جزءا هاما من الحركة الشبابية التى تمثل بدورها إحد مكونات الحركة الشعبية، لكن الحراك الطلابي ارتبط بجملة ظروف تحكمت فى ظهوره وتطوره وفى توجهاته العامة وفق المرحلة التاريخية التى مر بها المجتمع التونسي خلال الحقبة الاستعمارية (١٨٨١-١٩٥٦). فالحركة الطلابية فى بلد مستعمر تختلف عن تلك التى تنشط فى بلد رأسمالي أو بلد إشتراكي . وإذا نظرنا إلى الحراك السياسي للطلاب فى تونس نرى أنه إرتبط عموما بالنضال التحرري الذى يخوضه الشعب العربي التونسي ضد الهيمنة الإستعمارية الفرنسية وضد التخلف الإجتماعي ،وقد مر هذا النضال بمراحل عديدة توافقت مع مستوى التطور المادي ومستوى الوعي الذى ساد صفوف مناضليه .
ولضمان الوحدة والفاعلية والترابط سعت الحركة الطلابية دوماً لإيجاد الأشكال المختلفة للتنظيم والتماسك نحو المزيد من الفاعلية في التحرك والفعل والمبادرة.

اتسم الحراك السياسي للطلاب بأنه لم يعرف الهدوء منذ ان قطع الحراك اول خطوة في مسيرته النضالية اذ رافقها تعطش وتحرق للفكر والسياسة فقد اصبحت الساحات الجامعية اطاراً للمناظرات الفكرية والسياسية والتحريض الجماهيري والدعاية للمشاريع المجتمعية الخاصة والتدريب على كفاح الشوارع تنظيماً وقيادةً وتخطيطاً ووجدت في مختلف التيارات السياسية المحظورة موطناً لنشاط القادة والعناصر الحركية.

المصادر والهوامش الواردة في البحث:

([١])حسن حسني عبد الوهاب: خلاصة تاريخ تونس،دار الكتب العربية الشرقية ،(تونس،د.ت)،ص١٢.

([٢])احمد بن ابي الضياف: اتحاف اهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الامان، تحقيق احمد عبد السلام ،منشورات الجامعة التونسية،(تونس،١٩٧١)،ج٣-٤،ص٢٢٣.

([٣])معالم دينية :جامع الزيتونة ،الشبكة العالمية للمعلومات،الفيس بوك، اذاعة الزيتونة، (تونس،٢٠١٢)،ص١.

([٤])موسوعة المساجد في العالم: جامع الزيتونة، الشبكة العالمية للمعلومات، شبكة الشاطر،٢٠٠٧،ص٤.

([٥])الهادي التيمومي: تونس والتحديث اول دستور في العالم الاسلامي،دار محمد علي الحامي للنشر، (تونس،٢٠١٠)،ص٤٨-٤٩؛ محمد صلاح الدين المستاوي: الاسلام في تونس بعد ٧من نوفمبر، الشركة التونسية لفنون الرسم،(تونس،١٩٩٣)،ص١٩.

([٦])خير الدين باشا التونسي:ولد عام ١٨٢٢ ينتمي الى قبيلة اباضة الشركسية التي كانت تسكن القوقاز توفى والده في احد المعارك العثمانية- الروسية وقد اسر وهو طفل ثم بيع في سوق العبيد في استنبول فاشتراه احمد باي وكان عمره ١٧ عاماً ،وعاش في قصر الباي ثم دخل المدرسة الحربية وتدرج في الوظائف الى ان اصبح وزيراً ثم كلف بتوثيق الصلة بين تونس والدولة العثمانية ونجح في

ذلك ،كان له دور كبير في الحركة الاصلاحية التي شهدتها تونس ولقب برائد الحركة الاصلاحية الاول،توفى عام ١٨٨٩.المنجي الشملي: خير الدين باشا، الدار التونسية للنشر،(تونس،١٩٧٣)،ص٧-٢٨؛ احمد امين: زعماء الاصلاح في العصر الحديث، مكتبة النهضة المصرية،(مصر،١٩٧٧)،ص١٦٢-١٦٨.

(٧)البشير ابن الحاج عثمان الشريف: اضواء على تاريخ تونس الحديث ١٨٨١-١٩٢٤،دار بو سلامة للطباعة والنشر والتوزيع،(تونس،١٩٨١)،ص١٣٨-١٣٩.

(٨)نيقولا زيادة: تونس في عهد الحماية من ١٨٨١-١٩٣٤، معهد الدراسات العربية العالمية،(مصر،١٩٦٣)،ص٧٨-٧٩.

(٩)نهاية محمد صالح الحمداني: الحركة الوطنية التونسية ١٨٨١-١٩٢٠ ،رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب،(الموصل،٢٠٠٦)،ص١١.

(١٠)محمد عبد العزيز الجوادي: اثر التحولات السياسية في البناء الاجتماعي في تونس،رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى المعهد العالي للدراسات القومية والاشتراكية بالجامعة المستنصرية،(بغداد،١٩٨٢)،ص٥٩-٦٠.

(١١)الجوادي، المصدر نفسه،ص٦٠.

(١٢)**جمال الدين الافغاني**:ولد في قرية اسد اباد في افغانستان عام ١٨٣٩ تلقى تعليمه في كابول وانتقل الى الهند وتعلم الانكليزية هناك ،ثم ذهب الى مصر ،ثم الى الاستانة وعين في مجلس المعارف ،ثم عاد مرة اخرى الى مصر لكنه نفي الى الهند وقام بالتأليف ،و ذهب الى بيروت وانشأ مع محمد عبده جمعية العروة الوثقى، ودعى الى التحرر السياسي ودعوة المسلمين الى النهوض ببلادهم والثورة ضد المستعمرين. للمزيد ينظر: علي محافظة : الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة، الاهلية للنشر والتوزيع، (بيروت،١٩٧٥)،ص٧١-٧٢.

(١٣)**محمد عبدة**:ولد في مصر عام١٨٤٩ في قرية محلة نصر وتعلم القراءة والكتابة فيها واكمل تعليمه في الازهر ،وعين مدرساً في دار العلوم ألف كتاباً في علم الاجتماع ،واخذ يكتب في جريدة الاهرام ،وتولى تحرير جريدة الوقائع المصرية اشترك في ثورة احمد عرابي ١٨٨٢ ،ثم نفي الى بيروت ،وشارك مع الافغاني في تأسيس جمعية العروة الوثقى، انصب نشاطه في الدعوة الى التجديد الاسلامي واصلاح المؤسسات الدينية ،ثم تولى الافتاء في مصر .للمزيد ينظر: محافظة ،المصدر السابق،ص٧٩-٨٠.

(١٤)**محمد السنوسي**: وهو احد قادة الحركة الاصلاحية بتونس اجبرته السلطات الفرنسية على مغادرة تونس بعد ١٨٨٢ ليتجه الى ايطاليا ،ثم الى الدولة العثمانية ليتم زيارته الى بيت الله الحرام ،ليعود الى دمشق ،ثم انظم الى جمعية سرية اسسها جمال الدين الافغاني في الهند بأسم جمعية العروة الوثقى ،وبعد ان سافر الى بيروت توفى بها، وقد سجل رحلته هذه في كتاب تحت اسم (الرحلة الحجازية).المصدر: البشير الحاج ابن عثمان الشريف: اضواء على تاريخ تونس الحديث١٨٨١-١٩٢٤، دار بو سلامة للطباعة والنشر ،(تونس،١٩٨١)،ص٤٨.

(١٥)**ولد البشير صفر** عام ١٨٦٥ في تونس تلقى علومه بالمدرسة الصادقية واكملها في باريس ،ثم عاد الى تونس واصبح احد اساتذة الصادقية ،واسس جريدة الحاضرة وشارك في حركة تونس الفتاة واستمر حتى وفاته عام ١٩١٧.محمد يوسف نحلة :تطور الحركة الوطنية في تونس ١٨٨١-١٩٥٦، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى المعهد العالي للدراسات القومية والاشتراكية بالجامعة المستنصرية،(بغداد،١٩٨١)،ص٥٨.

(١٦)**خير الدين باشا التونسي**: ولد عام ١٨٢٢ ينتمي الى قبيلة اباضة الشركسية التي كانت تسكن القوقاز توفى والده في احد المعارك العثمانية- الروسية وقد اسر وهو طفل ،ثم بيع في سوق العبيد في استنبول فاشتراه احمد باي وكان عمره ١٧ عاماً ،وعاش في قصر الباي ثم دخل المدرسة الحربية وتدرج في الوظائف الى ان اصبح وزيراً ثم كلف بتوثيق الصلة بين تونس والدولة العثمانية ونجح في

ذلك ،كان له دور كبير في الحركة الاصلاحية التي شهدتها تونس ولقب برائد الحركة الاصلاحية الاول،توفى عام ١٨٨٩.المنجي الشملي: خير الدين باشا، الدار التونسية للنشر،(تونس،١٩٧٣)،ص٧-٢٨؛ احمد امين: زعماء الاصلاح في العصر الحديث، مكتبة النهضة المصرية،(مصر،١٩٧٧)،ص١٦٢-١٦٨.

([١٧])**علي باش حانبة**:١٨٧٩-١٩١٨ ولد في تونس ودرس في الزيتونة وحصل على شهادة الدكتوراه في الحقوق من فرنسا عمل في الحقل السياسي واصطدم بالاستعمار الفرنسي ثم اصبح رئيساً لجريدة التونسي .للمزيد ينظر:عبد الكريم عزيز: نضال شعب ابي، مركز النشر الجامعي،(تونس،٢٠٠١)،ص١٣٧-١٣٩.

([١٨])ولد **الثعالبي** في تونس عام ١٨٧٤ تلقى علومه في الزيتونة ثم اصدر جريدة سبيل الرشاد وشارك في حركة تونس الفتاة عام ١٩١١ ،ثم اسس جريدة الاتحاد الاسلامي ، وفي عام ١٩١٩ اسس مع زملائه الحزب الحر الدستوري ثم اجبرته السلطات الفرنسية الى الرحيل للمشرق عام ١٩٢٣ ،ثم عاد الى تونس عام ١٩٣٧ ،وبقي فيها حتى وفاته عام ١٩٤٥.نحلة، المصدر السابق،ص٥٥.

([١٩])عزيز،المصدر السابق،ص١٣٤-١٣٥.

([٢٠])عزيز، المصدر السابق،ص١٣٥.

([٢١])المصدر نفسه،ص١٣٦-١٣٧.

([٢٢])عبد الرحمن تشانجي: المسألة التونسية والسياسة العثمانية١٨٨١-١٩١٣،ترجمة عبد الجليل التميمي،(تونس،١٩٧٣)،ص١٧٢.

([٢٣])قاسم زغير كاظم: الحزب الحر الدستوري التونسي الجديد دوره السياسي في تونس بين عامي ١٩٣٤-١٩٥٦، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة لكلية الاداب جامعة البصرة،(العراق،١٩٨٤)،ص٤٨-٤٩.

([٢٤])علي المحجوبي: جذور الحركة الوطنية التونسية(١٩٠٤-١٩٣٤)، تعريب عبد الحميد الشابي، المجمع التونسي للعلوم والاداب والفنون،(تونس،د.ت)،ص٢١٦-٢١٧١ .

([٢٥])المحجوبي، المصدر نفسه،ص٢١٩.

([٢٦])سالم البيض: الهوية :الاسلام ،العروبة ،التونسة ،مركز دراسات الوحدة العربية ، (بيروت ، ٢٠٠٩)، ص١٦٦-١٦٧.

([٢٧])**الحبيب بورقيبة** : ولد الحبيب بن علي بورقيبة في ٣/اب/ ١٩٠٣ في عائلة متواضعة بحي الطرابلسية في مدينة المنستير الساحلية وتمكن بفضل مساعدة اخوانه من مواصلة دراسته للقانون بمعهد كارنو بباريس ،وقد مارس مهنة المحاماة والصحافة واصدر في تونس صحيفة صوت التونسي عام ١٩٣٠ ثم صحيفة العمل التونسي ،ثم انخرط في العمل السياسي ضمن نشاط الحزب الحر الدستوري التونسي عام ١٩٣٢ الذي كان يعمل من اجل استقلال تونس عن فرنسا ،لكنه انقلب على القيادة القديمة للحزب التي كان يتولاها عبد العزيز الثعالبي ،وانشأ الحزب الحر الدستوري الجديد. قامت السلطات الفرنسية بإعتقاله عام ١٩٣٤ ونفيه هو وعدد من قادة الحركة الوطنية التونسية خارج تونس واطلق سراحه من قبل الالمان اثناء احتلال المانيا لفرنسا عام ١٩٤٢ .ثم منحت فرنسا تونس استقلالاً داخلياً عنها عام ١٩٥٥ ،ليصبح بعد ذلك اول رئيس لتونس عام ١٩٥٦.

حسونة مصباحي: رحلة في زمن بورقيبة، دار افاق للنشر،(تونس،٢٠١١)؛

Dictionnaire Encyclopedique, Larousse,١٧,rue du Montparnasse ets ١١٤,Paris, vie ١٩٨١,p.١١٨٢ ؛

Michel Mourre, Dictionnaire Dhistoire Universelle ,Bordes, ١٩٨١,p.١٩١

(٢٨)علي البهلوان: تونس الثائرة، لجنة تحرير المغرب العربي،(د.م، د.ت)،ص٤٥.

(٢٩)البهلوان، المصدر نفسه،ص٤٦.

(٣٠)حسن صبحي: مذكرات في تاريخ شمال افريقية الحديث والمعاصر،مؤسسة شباب الجامعية،(مصر،١٩٧٣)،ص١٠٢.

(٣١)زهير الذوادي :تحولات العمل الوطني التونسي في السنوات الثلاثين ١٩٢٩-١٩٣٩،الاطلسية للنشر،(تونس، ٢٠٠٣)،ص هامش١١٤.

(٣٢)البيض، المصدر السابق،ص١٦٧.
(٣٣)المصدر نفسه،ص١٦٨.
(٣٤)الطاهر عبد الله: الحركة الوطنية التونسية رؤية شعبية قومية جديدة١٨٣٠-١٩٥٦،دار الطليعة ،(بيروت،١٩٧٦)،ص٢٥٤-٢٥٥.

(٣٥)عبد الله، المصدر نفسه،ص٢٥٦.
(٣٦)البيض، المصدر السابق،ص١٧٨.
(٣٧)المصدر نفسه،ص١٧٩-١٨١.

(٣٨)هنالك خلاف بين مؤرخي الحركة الطلابية التونسية فمنهم من قال ان فترة التأسيس هي ٢٠/كانون الثاني/١٩٥٢ وليس ٣٠/نيسان/١٩٥٢ معللين ذلك ان تاريخ العشرين من كانون الثاني كان الاتحاد يزاول نشاطه بسرية ثم خرج الى العلن في الثلاثين من نيسان.
(٣٩)Ayachi, L Union generale des etudiants de Tunisie au cours des annees ٥٠-٦٠-,p.١٦٢.
(٤٠)البيض،المصدر السابق،ص١٨٦-١٨٧.

المصادر المستخدمة في البحث:

أ.المصادر العربية:

(١)احمد بن ابي الضياف: اتحاف اهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الامان، تحقيق احمد عبد السلام ،منشورات الجامعة التونسية،(تونس،١٩٧١).
(٢)احمد امين: زعماء الاصلاح في العصر الحديث، مكتبة النهضة المصرية،(مصر،١٩٧٧).
(٣)البشير ابن الحاج عثمان الشريف: اضواء على تاريخ تونس الحديث ١٨٨١-١٩٢٤،دار بو سلامة للطباعة والنشر والتوزيع،(تونس،١٩٨١).

(٤)حسن صبحي: مذكرات في تاريخ شمال افريقية الحديث والمعاصر،مؤسسة شباب الجامعية،(مصر،١٩٧٣).

(٥)حسونة مصباحي: رحلة في زمن بورقيبة، دار افاق للنشر،(تونس،٢٠١١).

(٦)حسن حسني عبد الوهاب: خلاصة تاريخ تونس،دار الكتب العربية الشرقية ،(تونس،د.ت).
(٧)زهير الذوادي :تحولات العمل الوطني التونسي في السنوات الثلاثين ١٩٢٩-١٩٣٩،الاطلسية للنشر،(تونس، ٢٠٠٣).

(٨)سالم البيض: الهوية:الاسلام ،العروبة،التونسة،مركز دراسات الوحدة العربية، (بيروت، ٢٠٠٩) .

(٩)الطاهر عبد الله: الحركة الوطنية التونسية رؤية شعبية قومية جديدة١٨٣٠-١٩٥٦،دار الطليعة ،(بيروت،١٩٧٦).

(١٠)عبد الكريم عزيز: نضال شعب ابي، مركز النشر الجامعي،(تونس،٢٠٠١) ١٣٩.
(١١)عبد الرحمن تشانجي: المسألة التونسية والسياسة العثمانية١٨٨١-١٩١٣،ترجمة عبد الجليل التميمي،(تونس،١٩٧٣).

(١٢)علي محافظة : الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة، الاهلية للنشر والتوزيع، (بيروت،١٩٧٥).

(١٣)علي المحجوبي: جذور الحركة الوطنية التونسية(١٩٠٤-١٩٣٤)، تعريب عبد الحميد الشابي، المجمع التونسي للعلوم والاداب والفنون،(تونس،د.ت).

(١٤)محمد عبد العزيز الجوادي: اثر التحولات السياسية في البناء الاجتماعي في تونس،رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى المعهد العالي للدراسات القومية والاشتراكية بالجامعة المستنصرية،(بغداد،١٩٨٢).
(١٥)علي البهلوان: تونس الثائرة، لجنة تحرير المغرب العربي،(د.م، د.ت).

(١٦)محمد صلاح الدين المستاوي: الاسلام في تونس بعد ٧من نوفمبر، الشركة التونسية لفنون الرسم،(تونس،١٩٩٣).
(١٧)محمد يوسف نحلة :تطور الحركة الوطنية في تونس ١٨٨١-١٩٥٦، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى المعهد العالي للدراسات القومية والاشتراكية بالجامعة المستنصرية،(بغداد،١٩٨١).

(١٨)المنجي الشملي: خير الدين باشا، الدار التونسية للنشر،(تونس،١٩٧٣).
(١٩)معالم دينية :جامع الزيتونة ،الشبكة العالمية للمعلومات،الفيس بوك، اذاعة الزيتونة، (تونس،٢٠١٢).
(٢٠)موسوعة المساجد في العالم: جامع الزيتونة، الشبكة العالمية للمعلومات، شبكة الشاطر،٢٠٠٧.
(٢١)قاسم زغير كاظم: الحزب الحر الدستوري التونسي الجديد دوره السياسي في تونس بين عامي ١٩٣٤-١٩٥٦، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة لكلية الاداب جامعة البصرة، (العراق ،١٩٨٤) .
(٢٢)نيقولا زيادة: تونس في عهد الحماية من ١٨٨١-١٩٣٤، معهد الدراسات العربية العالمية،(مصر،١٩٦٣).

(٢٣)نهاية محمد صالح الحمداني: الحركة الوطنية التونسية ١٨٨١-١٩٢٠ ،رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب،(الموصل،٢٠٠٦).

(٢٤)الهادي التيمومي: تونس والتحديث اول دستور في العالم الاسلامي،دار محمد علي الحامي للنشر، (تونس،٢٠١٠).

ب.المصادر الاجنبية:

(١) Ayachi, L Union generale des etudiants de Tunisie au cours des annees ٥٠-٦٠.

(٢)Dictionnaire Encyclopedique, Larousse,١٧,rue du Montparnasse ets ١١٤,Paris, vie ١٩٨١ .

(٣)Michel Mourre, Dictionnaire Dhistoire Universelle ,Bordes, ١٩٨١.

Abstract

Since ١٨٧٣, Zaytouna University has supervised all the traditional educational institutions in the country with its various levels and has spread its branches in most regions of the country, where it qualifies them to join the Zaytoon University in the capital and its branches in the center and south. The university was granted its students and students certificates of graduation at all levels of education. Teachers, professors, preachers, judges and scholars. For centuries, the university has been following the task of teaching everything related to literature, language and legislation from jurisprudence, fundamentals, modernity and all related sciences to understanding Islam and its origins, developing ijtihad and spreading the call. In addition to its scientific role, Zaytuna University has assumed its national responsibility in the face of the French occupation, defending the homeland and the people, preserving the country's identity and contributing to the greater part of the work to achieve independence through the leadership of jihad Armed against the occupation and demonstrations and awareness campaigns and political action, which was one of the largest leaders, Sheikh Abdul Aziz Thaalabi

Such as the political mobility of the students of Zaytouna University is an important part of the youth movement, which in turn represents one of the components of the SPLM, but the student movement was linked to a number of conditions that governed its appearance, development and general orientation according to the historical stage experienced by the Tunisian society during the colonial era (١٨٨١-١٩٥٦). The student movement in a colonial country is different from that which is active in a capitalist or socialist country. If we look at the political mobility of students in Tunisia, it is generally associated with the liberal struggle of the Tunisian Arab people against French colonial domination and social backwardness. This struggle has gone through many stages that coincided with the level of material development and the level of awareness among its members.

The political movement of the students was characterized by the lack of calm since the movement's first step in its struggle, accompanied by the thirst and burning of thought and politics. The university squares became a framework for intellectual and political debates, public incitement and propaganda for private community projects and training on the street struggle, organization, leadership and planning. Home to the activity of leaders and kinetic elements.